حضرة الأستاذ عاطف جانبيه ممثل دولة رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه برّي،

معالي وزير الإسكان والتعاونيات الأستاذ محمود أبو حمدان،

سماحة المفتي الجعفري الممتاز الشيخ عبد الأمير قبلان،

آل الفقيد،

أيها الإخوة المعزّون،

أما بعد،

فالوقوف في حضرة الموت وقوف في حضرة الحق، والتحديق في وجهه تحديق في وجه الإنسان، وإدراكنا لحقيقة الموت إدراكٌ لحقيقة الحقائق: أن الحياة سيرورة في درب الفناء، وأن الإدراك من شأنه أن يضبط كثيراً من نزوات السلوك.

إن أجملَ صورةٍ لهذه الحقيقة وآلَمَها قد رسمها إمامنا الأكبر بكلام يقع بين كلامين، كلام المخلوق وكلام الخالق.

قال عليه السلام: «نَفَسُ المرءِ خُطاهُ إلى أجَلِهِ»، فقدم، بهذا القول، نموذجاً أخّاذاً من نماذج الكلام العلوي الواقع بين الكلامين، ونموذجاً من الإدراك النَّفَّاذ المُلامس للإعجاز، ونموذجاً من التعبير هو آخرُ ما يَبلغُهُ البشر.

«نفسُ المرءِ خطاه إلى أجله». لقد أدرك عليٌّ سراً خطيراً من أسرار الإعجاز الإلهي، فبيّن للناس ببساطة تبلغ مراتب العمق: أن شيئاً واحداً يصنع الموت والحياة هو النَفَس الذي به نحيا وبه نموت.

أيها الأخوة الأفاضل،

على الرغم من أن الموتَ حق معلوم ومصيرٌ محتوم، ونهاية لا مفر منها، وطريق إلى خلود ما أقوى تطلعنا إليه، وأشَدّ تلهُّفَنَا عليه، فإن فَزَع الراحلين وحزن المقيمين أمران معروفان لا ينجو منهما حتى المؤمنون.

فإذا كان الراحلُ في إبّانه، ولم يجاوز الشباب إلا للوقوف على عتبة الحكمة والتهيؤ لمزيد من الحياة، ومزيد من العطاء، إزداد الفَزَعُ في القلوب، وأشتدّ الحزن في النفوس، ولم ينج من ذلك حتى المؤمنون.

أما إذا أضفنا إلى هذه الصفات بعضاً نعرفه من مزايا الفقيد الخُلُقية، وصفاته المسلكية، فإن الحزن يغو أسىً يقض المضاجع، وشَجاً في الحلق يضيق الأنفاس.

لقد كان المرحوم محمد قاسم موظفاً صالحاً، منضبطاً في عمله، مندفعاً إلى واجبه، ناسياً ذاته أمام المصلحة العليا.

ولأنه، رحمة الله عليه، كان رئيس دائرة المحاسبة في مجلس النواب، ويعمل في حقل المال، فإن إنصرافه إلى عمله، وحرصَه على الأموال العامة كان هاجساً من هواجسه، قد كلفه كثيراً من جهده ووقته وصحته.

أيها السادة،

لقد تعود الخطباء، في مقامات الرثاء، أن يصفوا موت المميزين من أبناء المجتمع بأنه خسارة لا تعوض، ولو كان من يرثونه قد بلغ أرذل العمر.

فإذا قُبل الوصف وفهم، واندرج في المجالات مع المعمرين الذين نالوا نصيبهم وأدّوا ما عليهم، فإن رثاءنا لمن كان في عمر المرحوم محمد قاسم، ووصفنا لموته بالخسارة التي لا تعوض، إنما يندرج في نطاق الحقيقة والحق.

إن خسارتنا نحن للمرحوم محمد قاسم، وخسارة بلدته الكريمة له، وخسارة الأسرة لركن تقوم عليه، هي حقاً خسارة لا تعوّض: لأنه قد رحل في وقت مبكر، ومات هو في إبان العطاء، والقدرة على المزيد.

لقد رحلت باكراً يا أبا علاّم، وقسوت على أسرتك بهذا الرحيل، وأدرت وجهك عن علاّم وفراس وأمهما، عندما غادرت الدنيا، فكان ذلك منك سلوكاً لم تعودهم عليه.

ممثل دولة الرئيس،

أيها المعزون الأفاضل،

باسمي،

وبإسم زملائي موظفي مجلس النواب، وزملاء المرحوم محمد قاسم، أتقدم من أسرة الفقيد وبلدته بالتعازي القلبية، ضارعاً إلى الله أن يتغمده برحمته، ويسكنه فسيح الجنان، ويكون في عون علاّم وفراس وأمهما، الذين وحدهم بين المحزونين قد أصيبوا باليتم، فإليهم عزاء خاص، ودعاء إلى رب العالمين: أن يجعل سلامتهم عوضاً عمن فقدوا. وأنتم يا أهله وذووه وعارفو فضله، حسبنا أن نردّد معكم قول الشاعر:

عزاء وهل يجدي العزاء مع الردى

وصبراً وهل ينجي التصبر سيدا

فجعت قلوباً يا زمان بفقده

وأقفرت ربعاً يا أيها الردى